

صورة المرأة في الشعر الشعبي الجزائري

The image of women in Algerian popular poetry

د. بولرباح عثمانى*

bouotmani@gmail.com

قسم اللغة والأدب العربي جامعة عمار ثلجي الأغواط- (الجزائر)

تاريخ النشر: 2020/09/14

تاريخ القبول: 2020/08/30

تاريخ الإرسال: 2020/08/15

الملخص:

شَغَفَ الشاعر الشعبي بمظاهر الجمال والبهاء الأنثوي مادياً كان أو معنوياً، فأخذ يتغنى بما تراه عيناه من جمال الجسد يلتقط عذب العيون ويصفها، وجمال الوجوه فيصفها، مفتتناً بوصف محاسن هذا الجسد وقافاً عند دقائق ذلك الجسد المعشوق في حركته وسكونه، لأنَّ المرأة هي جماع مظاهر الجمال، وصوره وجمال المرأة هو الصورة المثلى للجمال، وما تزال المرأة الملهمة لهذا الشاعر، والمغذية لهذا الشعر الذي اعتمد على الوجدان وأثر الروح ليعبر عن مكنوناتها وخوالجها الداخلية، وقد تعددة أوصاف المرأة في الشعر الشعبي وتنوعه مشاربه إلا أنها ركزت على جوانب المادة في أحيان كثيرة من قدود جميلة وعيون كحيلة وغيرها من موطن الجمال في المرأة وفق تصوير شعري يبرز مدى تمكن هؤلاء الشعراء وبراعتهم الفنية في رصف الأفكار والمعاني والألفاظ على السواء وفق لغة تتماشى مع طبيعتهم وبيئتهم التي يعيشون فيها.

الكلمات المفتاحية: صورة، المرأة، الشعر، الشعبي الجزائري.

Abstract:

The popular poet's passion for appearances of beauty and female splendor, whether material or moral, began to praise what his eyes see of the beauty of the body, capturing the sweetness of the eyes and describing them, and the beauty of the faces, describing them, fascinated by describing the merits of this body and standing at the minutes of that body adored in its movement and stillness, because women are the group of appearances of beauty. And his images and the beauty of women is the ideal image of beauty, and the woman is still the inspiration for this poet, and the nourishing of this poetry, which relied on the conscience and the influence of the soul to express its inner and outer inner selves. Beautiful Qudud, AyounKahila and other places of beauty in women according to a poetic depiction that highlights the extent of these poets' ability and artistic ingenuity to frame both ideas, meanings and words according to a language consistent with their nature and the environment in which they live.

Keywords: portrait, woman, poetry, Algerian folk.

مقدمة

الصورة الشعرية هي ذلك الثوب الجميل الذي يحيكه الشاعر أو الأديب، ليكون مناسباً لأفكاره فالصورة الشعرية وسيلة معبرة مؤثرة موحية تفوق بكثير اللغة التعبيرية المباشرة، فهيتكشف في كثير من الأحوال عن طبيعة التجربة، ويعني هذا أنها ليست إقحاماً خارجياً على الشعور بل تظل معه وتتطابق داخله، هذا الشعور الذي يجسد الصورة الكاملة النفسية أو الكونية، التي يصورها الشاعر حين يفكر في

أمر من الأمور، تفكيراً ينم عن عميق شعوره وإحساسه وليس بعيد ما نجده عند الشعراء الشعبيين عند تصويرهم للمرأة من خلال ما تبدع قرائحهم وقناعاتهم الذاتية والداخلية .

وبهذا تكون هناك علاقة بين الذات المبدعة والموضوع ، فهي على حد تعبير عز الدين إسماعيل كشف نفسي للحقائق الإنسانية ، هذه الحقائق التي تبقى خفية متوارية عن الأبصار والأذهان فتأتي الصورة الشعرية لتجسدها ، وتخرجها إلى الواقع في شكل فني مثير للانفعال والوجدان ، وهنا تكمن قيمة الصورة فهي تؤدي وظيفة دلالية توحى بالمواقف النفسية التي تعجز اللغة العادية التعبير والإفصاح عنها . هذا ما حدى بنا بلهفة مشرقة وحيرة محدقة إلى التساؤل: كيف صور الشاعر الشعبي المرأة؟ وما الجديد الذي أضفاه الشاعر الشعبي في وصفه؟ وإلى أي مدى أسهمت أساليبه ولغته في نقل هذا الجمال الأنثوي ووصفه في قصائده .

الفرضيات:

- الصورة الشعرية تمتاز بوسائل بيانية ومعارض بلاغية على غرار صورة الرسام التي تعتمد على نوع من الحس والتأمل إذن هاته الوسائل هي التي تخرج الصورة من عالم الرسم إلى عالم أرحب وأوسع ومما يشترط في الصورة الشعرية أن تلتزم بالألفاظ والعبارات المجازية ، فقد تكون العبارات حقيقة للاستعمال وتكون مع ذلك دقيقة التصور ودالة على الخيال الخصب .

- الصورة في الشعر الشعبي لا تخرج عن الإطار الذي رسمته لها أختها في الشعر العربي الفصيح ، غير أن الاختلاف يكمن في لغة التصوير حيث أنّ الصورة في الشعر الشعبي يعبر عنها باللغة العامية ، معنى هذا أن الشاعر الشعبي يتبع أخاه الشاعر المدرسي في جميع الخطوات التي تمر بها القصيدة العربية .

- المرأة كانت ولا تزال ملهمة الفنانين والشعراء على طول الزمان ، ورسوموا جمالها في لوحات خالدة وتفننوا في إبراز صفاتها النفسية والجنسية ، وصوروا عواطفهم اتجاهها ، فحب المرأة والتغزل بها كان ولا زال لغة لا تعرف حدوداً، ولا تختص بإنسان دون آخر.

الأهداف:

محاولة ألقاء الضوء على صورة المرأة في الشعر الشعبي وكيف تشكلت لغويا ودلاليا لترصف أفكار وشاعر الشعراء الشعبيين.

إبراز جماليات التصوير الفني عند الشعراء الشعبيين وخاصة فيما تعلق بالمرأة لاعتبارها كيانا جميل يوحى بالجلال والجمال.

السعي لمعرفة مواطن الجمال للمرأة في الشعر الشعبي بالتصوير الفني الذي يعتمد على الوقوف على الدقائق والجماليات في الشعر الشعبي.

المنهج:

منهج البحث توزع بين الموضوعاتي من خلال دراسة معاني ودلالات الجمال في المرأة، وكذا المنهج الأسلوبي من خلال الأخصاء والتدقيق في النصوص الشعرية.

زخر الشعر العربي على اختلاف عصوره بقصائد الغزل، وعرف منذ العصر الجاهلي يتيماً من القصائد تغني بها العرب، واختلفت أشكال الغزل، وصوره في التراث الشعري العربي باختلاف الملابس والظروف الحضارية والاجتماعية لكل زمان، ولكن الثابت أن هناك قواسم مشتركة، وخصائص فنية معنية بقيت توحد الغزل العربي على اختلاف عصوره .

((لقد لازم شاعر الحب المرأة والطبيعة روحاً وجسداً وأخلاقاً وخلقاً، فشبه قدها بالبان ونهدها بالمرمان، وخدها بالورد وأسنانها بالبرد واللؤلؤ، وجيدها بالريم، وردفها بالكثير، كما شرب بروحها وكرمها وجمالها، وطرها وعفها ونسبها...))¹ .

وإذا انتقلنا إلى الشعر الشعبي وجدنا شعراءنا قد ساروا على شاكلة من سبقوهم في وصف المرأة مع اختلاف طفيف في التصوير بحكم البيئة التي يعيشون فيها، وكذلك طريقة التعبير عن ما يجيش في خواطرهم من منطلق التصوير الفني في الشعر الشعبي لصورة المرأة بوجه عام، وخضوع هذا التصوير إلى البيئة التي تعتبر مرآة صادقة لبيئته وإذا توغلنا أكثر في معالم الشعر الشعبي، وبيئاته نجد أنها تتشابه في التصوير الفني بين الشعراء مع اختلاف بسيط في التصوير بحكم البيئة التي يوجد فيها الشاعر، وكذلك تأثير المجتمع والتقليد والأعراف والثقافات.

إن أول ما يشد الدارس لقصائد الشعراء هو إقبالهم على ذكر أوصاف تدلّ دلالة واضحة على تصويرهم للمرأة بصورة تتضارب بين التصوير المثالي، والتصوير الجسدي تارة أخرى، هذا إضافة إلى التصوير الخلفي.

ونجد الشاعر "محمود بلخيري" يؤكد تلك الصور التي سبقها إليه الشعراء من قبل ويضيف لها بعض الصفات الجمالية الفنية، التي يتسم فيها الشاعر حين يشبه المرأة التي أحبها بالغزالة في وصفها ما استطاعت له قدراته فيقول:⁽²⁾

مسوكي ما رام حد ويهدالو
ادات العقلية وفازت بافعالو

بوقرين اللي مع الصحرا زراب
اتربا تمعاه منكب للمنكب

ومن كل هذا نقول أنّ الشعراء الشعبيون مثلهم مثل سابقهم، تأثروا بالمرأة منذ القديم فحاولوا جاهدين أن يبلوروا تلك الصور بحسب ما احتاجت إليه الصور من تشابه وعبارات ((منها ما يجعل صورة المرأة في الشعر أقرب إلى أن تكون نسخاً متكرّراً من أصل واحدة..)).³ دون إغفال الاختلافات اليسيرة في التعبير الفني عن الصورة من كل هذا نجد صورة المرأة قد جسدت تجسيدا واضحا أساسه صورة الجمال الجسدي للمرأة فلكل عضو منه ميزة خاصة الصدق بها يكاد دالا عليها، فالوجه شمس، والعينان لمهاة والجلد لضيء، الأسنان كالبرد، والبلور ورقته بالدرة، وقد تختلف في بعض الأحيان من شعر إلى آخر وهذا راجع إلى البيئة كعنصر أساسي لكون الشاعر يعيش فيها جعلته يبلورها ويخرجها في أحلى حلة أساسها الجمال الفني، ومن كل هذا يمكن أن ندرج الصور التي تصور بها الشعراء الشعبيون للمرأة فيما يلي :

لقد تفنّن الشاعر الشعبي في رسم صورة شعر المرأة، وأجاد فيها حتى بلغ ما بلغ متأثراً مما سبقوه في وصفه جسده بصورة نكاد نقول عنها أنها تشكل تطابقاً دقيقاً أساسها الجمال والتصوير الفني، فمنذ القدم والشاعر يتفنّن ويجدّد في صوره وجماليات التصوير، جاعلاً صوره أكثر دلالة وأكثر عمقا بارزا كالسمات الأساسية التي تكون صوره مقلداً مجدداً في تشكيله في تلك الصور، دلالة على الملوحة والبريق والصفاء والنقاء، وقد صوره بصور شتى منطبعة في نفسه ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدلالة النفسية والجمالية للشاعر.

فالشاعر الشعبي راعته صورة البداوة المجسدة في المرأة سحرته وأغرقته بسحرها، جعلته فنان يرسم ما يتراءى له من صورة الجمال أبهره شعرها الساحر، العبق بالروائح والأقاصي شطرته كما تشطر شعرها إلى جدائل، جعلته يرسم الجمال كفن مصدره الطبيعة، لقد صور الشاعر الشعبي صورة الشعر، وأعطاه صورة منطبعة في خلده، عكست بحق روعة الجمال ودقة الصنعة والأسلوب، فرسم صورة الشعر، وأعطى لها مدلولاً مرتبطاً بصورة جميلة تفنّن في إخراجها وإبرازها إذ يقول الشاعر "بلخضر بن طرية"⁽⁴⁾:

طلقت مبروم ماشطاته متقاني على حجوب صدرها بفتايلو مسبل
الثيث حرير مفاصلاتو كباب رافد امساسكو وطالق سراحو

ونجد صورة أخرى تكاد تكون ماثلة أو مطابقة عند شاعر آخر وهو "خنيش طيران بن فرحات" يقول:

ثيثك قمر حرير كدى طاح باين طور لبيوطايح متقاني
أقمار

ونلمس أيضاً صورة أخرى تعكس ملامح جمال في الشعر حين تزين المرأة به وتعبقه بأجمل الروائح و العطور وذلك في قول "بلخيري محفوظ"⁽⁵⁾:

الممشوط ع الظهر طاح معرم امرمل بيه الروايح شهايا
سنبل زانو فيه ريحة تنسم بالقمحة والطيب ممزوج حكايا

وقوله أيضاً :

ثيث مكوف طاح للركبة رايب
غطى قلاع الظهرع الراس اسركب
داررواق على الظهر للاح خيالو
وتكسل لحق لقدم طاح أسبالو
والريحة ع النحر مكفوحة تسكب
مهيها زين السوالف بجمالو

ونجد أنّ الشعراء عامة قد تفردوا في وصف الشعر، وبرزوا صورة جميلة الموحية على أنها عريقة تتجذر مرتبطة بأصالة البداوة، إذ نجد الشاعر "عبد الله بن كريو" قد رسم وتفنن في إبراز صورة الشعر وأعطى لها مدلولاً خاصاً عكس من خلاله جمال المرأة فيقول: ⁽⁶⁾

على المنكب مطلق ثيها راب
خصلات من الخان أرهيف ينتدقو

وكذا نجد عند الشاعر "الشيخ السماتي" قائلاً: ⁽⁷⁾

مانيش على الخيل مقصودي زهوة
مولات الممشوط لسود طاح قمارو

ومن الصور الجميلة التي عبر عنها الشعراء، ومازالوا يعبرون عنها بما يجيش في خاطرهم، والقصائد الرائعة التي وصفة جمال المرأة وحسنها، مربوطة بالطبيعة في شكل أقل ما يقال عنه أنه إبداع فني راق، و من جملة محاسن المرأة جمال الشعر، فلقد دققوا في وصفه وأجادوا، وبرعوا في التصوير بما يلائم عصرهم وبيئتهم ومن هؤلاء "امرؤ القيس" الذي قال: ⁸

وفرع يزين المتن أسود فاحم
غداثه مستشزرات إلى العلا
اثيث كقنو النخلة المتعكل
تظل المداري في مثنى ومرسل

وكذلك نلمس قول "عنترة بن شداد" ⁹:

ويطلع ضوء الصبح تحت جبيتها
فيغشاء ليل من دجى شعرها الجعد

ويقول أيضاً: ¹⁰

خطف الظلام كسارق من شعرها
فكأنما قرن الدجى بدياجي

وكذا نجد "المتنبي": ¹¹

من كل
نثرت ثلاث ذوانب من شعرها
فأرت ليال أربعاً
فأرتني المرين في وقت معا
هذا نرى أنّ
متطابقة
الصورة

، وتختلف فقط من حيث السبك، والأسلوب ودرجة الشعرية والجمالية في الصورة أي بحسب السياق والبناء الذي يعتمده الشاعر في تأييد ما يريد البوح به.

1- صور القشوة:

لقد وصف الشعراء الشعبيون القشوة مثل سابقهم بصور تحمل معاني ذاتية، ودالة في جوفها على مكنون يتمثل في الضياء النابع عادة من البدر أو الشمس، فالقشوة تمثل في الجبين المتوسط بين الشعر

، والحاجبين شبه الشعراء بالقمر والبدر إضافة إلى تشبيهه بضوء المصابيح ويربطونها عادة بالشعر، بالقد والحاجبين لما لهذه الأعضاء من تناسق وتكامل ، ونرى أنّ الشعراء قد يقدمها في الوصف في أغلب الأحيان، إضافة إلى أنها قد تؤخر، لكون الشاعر له الحق في أن يبرز عضواً دون آخر بحسب ما تجيش به قريحته ، وبحسب الواقع الذي يعيشه .

من ضمن الشعراء الذين أبرزوا هذا العضو الجمالي الأنثوي الشاعر الشّعبي "بن طربة" الذي يقول :

وقوله: ⁽¹²⁾ قشوة كي فنار ضيوزهاني في ليالي الظلمة بيان يشعل
القشوة قمر كي مثل الليل التالي شدة للخطاريشوتعالى
القشوة تغشي على ضي الزرم ولا فنار مقسرة لبطل عليه
ويقول الشاعر "بلخيري محفوظ": ⁽¹³⁾
القشوة تغشي ع البدر اللي تم والي انقلك فايقة ع الضوايا

ونجد صورة القشوة عند الشعراء الأوائل تتمثل في صورة تكاد تكون مطابقة مع اختلافات بسيطة ، بحيث يقول الشاعر الكبير "عبد الله بن كريو" ربطا القشوة بالشعر: ¹⁴

شفت القشوة ضاوية و الثيث أكحل و مرقد بروايح المسك تفاجي
وكذلك عند "الشيخ السماتي" في قوله: ⁽¹⁵⁾
أنا وصفي للزايخة ذي القشوة فوق الحاجب فايقة ضي الغرار
ونجدها أيضا عند "محمد بلخير" في قوله: ¹⁶
والقشوة فايقت لهلال راقب و النور اللماح يفجي كل ظلام
وقوله: ⁽¹⁷⁾

والقشوة تغشي على ضوالبقاس ولا الفجر منين يصحي

ونجد صورة القشوة ظاهرة وجلية عند شعرائنا العرب من الجاهلية إلى الإسلام ، وحتى يومنا هذا تتكرر بأشكال ، ومعان تدل دلالة واضحة على عنصر التقليد ، والتأثر باد للعيان من خلال الأشعار التي وصلتنا ، حيث نجد امرؤ القيس يقول: ¹⁸

تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب متبتل
ونجد عند عنتره يقول: ¹⁹
شمس إذا طلعت سجدت جلاله لجمالها وجلا الظلام طلوعها
وعند طرفة بن العبد يقول: ²⁰
ووجه كان الشمس حلت رداءها عليه نقي اللون لم يتحدد

ويقول الشاعر:²¹

أيا قمرا تبسم عن أقاح ويا غصنا يميل مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا صباح في صباح في صباح

ونجد الشعراء يتغنون بجمال المرأة حيث يعكسون جمالها، ونظراتها بأساليب، وصور جميلة إذ

يقول الشاعر:²²

أشرقت في الدجى فلاح النهار واستنارت بنورها الأسحار
من سناها الشموس تشرق لما تنبدي وتنجلي الأقمار

لقد صوّر الشعراء الجبين والقشوة، أو مقدمة الوجه بصور مختلفة الأساليب متحدة المعنى، والمستهل لتربط بأعضاء أخرى، قاصدين من ورائها دلالة كامنة في التكامل والتناسق، وكذلك راجعة إلى طبيعة المنطلق كأساس يحدّد نوع الصورة، ووصفها بأوصاف وتشابيه ترجع دوماً إلى المرأة.

2- صورة الحواجب:

تقترن الحواجب في مجملها بوصف واحد عند الشعراء ألا وهو (عرق النون)، وهو ذو ارتباط وثيق بالكتابة والحبر والورق، ونجده واضحاً في شعر الشعراء الشّعبيين، يقول بن طربة بلخضر:⁽²³⁾

الحواجب نونتين خط العثماني في برية يتوسموا خطهم المعدل

وقوله:⁽²⁴⁾

الحواجب بالمداد خطين كتاب شاطر فاهم في قد اليبديطراحو

ويقول خنيش طيران بن فرحات في وصف الحاجبين:⁽²⁵⁾

الحواجب نونات في جامع لصوار اللامح مدفع في حضور الميداني

ويقول بلخيري محفوظ:⁽²⁶⁾

حاجب عرق النون للثمد يوالم معدل مقدود ناسب عيايا

ونفس الصورة والأوصاف للحاجب نجدها عند بن كريو يقول:⁽²⁷⁾

حواجبها تعراق نون كتاب منساكت في مناجيد يتوردو

ونجد وصف الحواجب تقترن بالسحر إذ يقول الشيخ السماتي:⁽²⁸⁾

والحواجب نونات في عنوان سوى عرقهم قندوز من صافي لبحار

ونجده وصفها كذلك عند محمد لغواطي إذ يقول:⁽²⁹⁾

يا مزين ذوك لحواجب على القصة نون على شاطبي كاقط محلول
كاتهم قاضي البلاد بلا محصة شيخ مدارس يحفظ أصور المنزلول

ونفس الأمر عند محمد بلخير:³⁰

الحاجب نونين من خط الكراس
والحروف سواد نونين فوق التفاح
وسموهم في راس لوحة
بالقلم كاتهم الميدان مرسوم

إن صورة الحواجب لم تقتصر على الشعر الشعبي فقط، بل إنَّ شعرنا العربي بدأ كصورة عكس بها عما يدور في خلدّه، فقد وصف حواجب المرأة وأطال فيها حتى بلغ ما بلغ من الوصف والإبداع المفعم بالجمالية . قال خالد الكاتب:³¹

لها من ضباء الرمل عين مريضة
ومن يافع الأغصان قد وقامة
ومن ناظر الريحان خضرة حاجب
ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب
وقال آخر:³²

غزاني الهوى في جيشه وجنوده
بمسيرة أجنادها أعين المها
وهب علينا الجيش من كل جانب
وميمنة تقضي بزج الحواجب
وقول يزيد بن معاوية:³³

وقوس حاجبها من كل ناحية
ومن الأمثلة في صورة الحاجب قول عمر بن أبي ربيعة:³⁴

وبدا يوم أعرضت
صفح خد وحاجب

ومن الملاحظ أنّ وصف الحواجب وصف تناقله الشعراء، له دلالة مرتبطة دائماً بالعيون أقل ما نقول عنها أنّها غالباً مرتبطة بالكتابة (دلالة الحواجب)، وكذلك بالقتل والسحر. ونجد الشعراء يعمدون الى وصف الحواجب دائماً مقترناً بوصف الجبين، والعيون وهذا للعلاقة القائمة بينهم، ونظراً للتكامل والتناسق، واقتراب الدلالات بعضها ببعض.

3- صور العيون:

غالباً ما تكون الأهداب هي الأخرى مقترنة في الوصف، وهذا من منطلق أنّ الشاعر لا بد له من تنسيق الكلام والشاعر الشعبي وصف العيون بالسلاح كالسيف والبندقية والمسدس والبارود والسهام الجارحة إضافة إلى الوصف الطبيعي حيث أنّه يرتبط بالغزاة والمها، فالعيون دائماً تشبه الغزاة أو المها والعيون لها دلالة عميقة كامنة تتمثل في الخوف، والرغبة إضافة إلى سمتها الأساسية المتمثلة أساساً في الجمال والسحر. يقول الشاعر بن كريع:⁽³⁵⁾

من شوفتها ذلوا بطول لرقاب
امدافع عينها يهيب كل عدو

وقوله:⁽³⁶⁾

العين السوداء فوقها حاجب خلل
نون معرقها التلميذ الساجي

وكذلك قول بن قيطون:⁽³⁷⁾

عينك قرد رصاص حربي في قرطاس
سوري قياس في يدين الحربي

وقول بن طرية بلخضر: (38)

عيونك جعبتين في يوم أهوالي
نطحهم للبلاد يكسروا قصبة
وقوله: (39)

وعيونك جعبتين والحب فناني
هذا بك يا الريم فهم المرواني
وقوله: (40)

لعيون زوجة في بيد رهاب
ويقول الطيب بسياسة: (41)

وعيونك حب الدوالي طاب أدهم
وكذلك نجد عند الشيخ السماتي: (42)

واهدابك مروان بمياه تقوى
تحت عيونك قالب سباعي نحار

ويقول بلخيري محفوظ: (43)

هلكتي عين المها زين النظرة
وقوله أيضا: (44)

كسبت عين النمر عذابة ترهب
العين الكحلة كي الزربيط اتنشب
تنفذ وسط القلب تملك مجالو
زانوها لهذاب ع الخد اذبالو

لقد هام الشاعر العربي بالعيون ووصفها ، حتى أصبح وصف العيون سنة تتوارثها الأجيال، وهدفاً منشوداً يصبون إليه، ولقد أخذ وصف العيون منذ القديم مأخذاً في نفوس الشعراء فربطوه بالطبيعة كأساس، أو منطلق للتشبيه كما نجد الشعراء الجاهليين أصدق مثال، وخير دليل فامرؤ القيس يقول: (45)

تصدي وتبدي عن أسيل وتتقي
بنظرة من وحش وجرة مطفل
وكذلك نجد عنتر بن شداد يصف عيون عبلة بالسهم فيقول: (46)

رمت الفؤاد مليحة عذراء
بسهام لحظ ما لهن دواء
مرت أوان العيد بين نواهد
مثل الشموس لحاظهن ضباء

وكذلك نجد كعب بن زهير يصف عيون خليلته فيقول: (47)

بانئت سعاد فقلبي اليوم مبتول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا
متميم إثرها لم يفد مكبول
إلا أغن غضيض الطرف مكحول

وقول ابن الرومي: (48)

وعينان قال الله كونا فكانتا
فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

وقول علي بن الجهم في وصف العيون: (49)

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وقول المتنبي:⁵⁰

مثلت عيناك في حشايا جراحة فتشأبها كلتاهما نجلاء

4- صورة الخدود:

لقد وُصفَ الخدُ بأنواع الورد، والزهور فتارة يمثل بشقائق النعمان، وتارة بالفل والياسمين، والنرجس والقرنفل، والآس وورد الصباح، إضافة إلى وصفه للقمر في ليلة أربعة عشر، ومن قولهم في وصف الخدود ما يلي:

يقول الطاهر بن النمير:⁽⁵¹⁾

الخد أحمر نعت تفاح الورد والي بن نعمان فقس في العالي
ويقول بلخيري محفوظ:⁽⁵²⁾

خد العطرة ورد يبرير مرقم الريق مضاهي للعسل فيه ادوايا
وقوله:⁽⁵³⁾

وادات من الورد خد أحمر يعجب والشفة رمانها ضوق فالو
وقول عبد الله بن كريو:⁽⁵⁴⁾

نوار خدودك هايفينل شذاب ربي غذاه بمياه من عنده
خدك بنعمان كي تفتح واجمل ولا ورد يروج ساحة لبراجي
ويقول لخضر بن طرية في وصف الخد مقرونا بالبرق والرعد:⁽⁵⁵⁾

خدك براق بايت للقرب ايلالي بايته من ضية متباشرة عروبة
ونجد وصف بن قيطون واضحا جميلا إذ يقول:⁽⁵⁶⁾

خدك ورد الصباح وقرنفل وضاح الدم عليه ساح مثل الضوايا
وكذا قول محمد لغواط:⁽⁵⁷⁾

خدودك بنعمان في شاو الفقسمة وفتح نوارو على لغصان اصول
ووصفُ الخد واضحا عند الشعراء العرب إذ وصفوه بألوان الطبيعة، وعادة ما يكون اللون الأحمر هو الغالب والأساس، ووصف الخد في قول ابن المعتز واضحا:⁵⁸

صل نجد خديك تلق عجيبا من معان يجار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض ونجدي للدموع غدير
ويقول آخر:⁽⁵⁹⁾

ورد الخدود ونرجس اللحظات وتصافح الشفتين في الخلوات
شيء أسربه واعلم أنه وحياته أحلى من اللذات
ونجد وصف الخدود في الأندلس في قول بكر بن حماد:⁶⁰

خلق الغواني للرجال بلية
فهن موالينا ونحن عبيدها
ويرى العباس بن الأحنف في الخدود تفاحا مازجا بينه وبين خمر الرضاب:⁶¹
ذكرتك بالتفاح لما شممته
وبالراح لما قابلت أوجه الشرب
تذكرت بالتفاح منط سوالفا
وبالراح طعما من مقبلك العذب

5- صورة الثغور:

لقد كثر وصف الثغور في الشعر الشعبي والعربي بأوصاف كثيرة، فمنها من يصفه بخاتم الذهب لصغره وجماله وطيب نكهته وريقه وكذلك لحن جماله...، والثغر دائما في الشعر يقرب بالشفاه والأسنان، والناب يكونها أعضاء منه وهي توصف بأوصاف كثيرة، أوردها شعراء ومنها قول الشاعر السماتي:⁽⁶²⁾
والمضحك بتبروتبسامت سلوى
والشفة عكري حمورتهاتشفار
ريقك عسل جباح صافي لا رقوة
طبي إلى مسقوم حوته لضرار
ويقول بلخيري محفوظ:⁽⁶³⁾

سبحان الله ما صنع في زين الفم
سبيدي ربي ما هدى للطوايا
مضحك زين ايبات كي مثل الخاتم
شفة عكري دارت عليه وقايا
عطت عاج إللي ظهر كي تبتسم
زادت غصة فيه فلجة يادايا

ونفس التوظيف تقريبا نلمسه عند عبد الله بن كريو في قوله:⁽⁶⁴⁾

كي تتبسم تدي عقولا للباب
الفم شابه خاتم الذهب جهدو
الشفة شلطة موس دمها راب
ما هيش من سواك ما دقة عودو
ولدينا أيضا قول الشاعر بن الطاهر المير:⁽⁶⁵⁾

والمضحك رهدان فرش في وهدة
وشوراب زينين نعت الفلالي
انسلم على الفم عنه نتبدا
السنين ارهاف تصوار العالي

ويقول لخضر بن طريبة:⁽⁶⁶⁾

لسنان حليب التبرسومة قالي
قال التبروريزارعتة سحابة
كي تضحك قايتالنساياتمحاني
تقول منطقتها بالذهب مشلل

وكذلك يقول خنيش طيران بن فرحات:⁽⁶⁷⁾

اسنانك تبرور صب على لوعار
الشفة فيلالي تلاوالميزاني

وعندما نمر إلى الشعر العربي نجده مدججاً بالمعاني، والأوصاف الفائقة الجمال، فراها تعبر بصدق عن مشاعر الشاعر العربي عموماً تختلج في وجدانه، مرتسمة في نفسه، جارية في دمه، لقد جسّد الشاعر العربي

صورة الثغر وأعطى لها أوصافاً فاقت كل الأوصاف ،ومن أمثلة ذلك ما قاله الشاعر حين وصف حديث خليلته:⁶⁸

وكل حديث الناس إلا رجيع وفيها حدثك الطرائف
حديثها

جرحن بأعناق الأطباء وأعين جآدر وارتجت بهن الروادف

ويقول عمرو بن ابي ربيعة في وصف ثغر حبيبته:⁶⁹

غادة يقتر عن أشنبها حين تجلوه أقاح أو برد

وقول المتنبي:⁷⁰

ترشقت فاهها سحرة فكأنني ترشفت حرّ الوجد من بارد الظلم

وقول امرؤ القيس:⁷¹

إذا دقت فاهها قلت طعم مدامة معتقة بما تجيء به التجر

لقد تمكنت صورة المرأة بفعل حضورها الغني في جسد النص الشعري الشعبي بكل تمفصولاته من الظهور بوجهي الحقيقة والرمز ،ففي الوقت تحتفظ فيه بعض التجارب الشعرية بقيمة جمالية وفنية وهي تقدم صوراً للمرأة ، فإنّ بعض التجارب الأخرى قد سمت بالمرأة إلى آفاق أخرى ،وحلّقت بها في أجواء الرمز المفعم بالإشارات والطافح بالإيماءات والدلالات المتنوعة الرؤى والغايات .

ولهذا فقد كان الشاعر الشعبي يقدم هذه الصور في حلة جمالية وفنية تبوح بعبق الرؤية والبوح الابداعي القادر على اثارة المتلقي ،عبر حشد كل صور الجمال الخارجي ،وتوظيف كل معاني الاثارة عند تشكيلها ،فبدت هذه الصور منتزعة من متعدّد .

وعليه فقد كان الشاعر الشعبي ،وهو يحاول تجسيد صورة المرأة في شعره مأخوذاً بمقاييس جمالية معينة ،ومشدوداً لصورة قائمة الذات لا يتجاوزها ،ولهذا فقد كانت المرأة في شعر الشاعر الشعبي هي الأنثى ذات العون النرجسية ،والشفاه العسلية ،والشعر الليلي ،والقد النحيل ،والردف الثقيل ...

ويمكن لمتتبعي تشكلات صورة المرأة في الشعر الشعبي أن يلاحظ استمرار الصورة التي قدمها الشعر العربي للمرأة وهي صورة كما رأينا -سلفاً- ذات زوايا متعدّدة وأبعاد مختلفة ،وبهذا يتبين للدارس أنّ الشعر الشعبي جزأ لا يتجزأ من بنية الشعر العربي عامة ،فهو حلقة من حلقاته التي لها وجودها الذاتي ، لكنّه لا يتميز إلا في اطار اللغة الشعرية العامة بمقاييسها الفنية وبأبعادها الجمالية .

وقد تنوّعت وتعدّدت الصور المختلفة للمرأة ما بين الإيجابية والسلبية ، وما بين الحسية أو المعنوية وبحسب أدوار المرأة المختلفة ، ويبقى أن نؤكد رأي نزار في المرأة حين قال : ((المرأة هي الشعر ، وليست ملحقة به ، أو مضافة إليه ، أو هامشاً من هوامشه ، كل شعر كُتب أو يكتب أو سيكتب مرتبط بالمرأة كما الجنين بالمشيمة ، وأي محاولة لفك الارتباط بينهما ، يقتل الطفل والأم معاً ، إذن فالمرأة والشعر يكملان بعضهما ،

والمرأة في شعري أعطته حضوراً مائياً ، ونفضت عن أبجديتي الغبار الصحراوي ، والشعر بدوره يجل المرأة ويكحلها ويعطرها ويحفظها من التبدد والاندثار...))

نتائج البحث:

- لقد صوّر الشعر المرأة تصويراً دقيقاً وأعطى له دلالات لا نكاد نفصلها عنه ، فصورها بالليل الدامس الغارق بالسواد، وصورها بالريش الظليم، والرمادي وريش النعام، وغمر الحرير.

- لقد ارتبط شعر المرأة ارتباطاً وثيقاً بجمالها ولا نكاد نجزم أنّ سرقوتها ،وجمالها شكلته بيدها الناعمتين حين تصنع حللاً من الصورة الجمالية ،تتفنن بجعله في أبهى صورة فقد تجعله جدائلاً ،أو ظفائراً، وقد تطلقه ليظهر وكأنّه الليل في أجمل صورة، وقد تجعله وكأنّه قطعة من حرير، أوريش نعام.

- جنح الشاعر الشعبي في وصفه للمرأة إلى لغته البدوية التي تسقط مظاهر الطبيعة على المرأة فجعلها من جمال الطبيعة.

كان وصف الشاعر الشعبي للمرأة أغلبه جسدياً مادياً من خلال إعجابه بهذه المرأة ،وجمالها فقام يصف العيون والحواس، والحدود وكل ماله من أثر مادي على نفسيته.

المرجع والمصادر:

- مخطوط في الشعر الشعبي، منطقة شمال الصحراء.
- عبد الامير مهدي حبيب الطائي أشواق العشاق في الادب العربي ، ط1 ، 1985 .
- علي البطل، الصورة في الشعر العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1981.
- ديوان أمري القيس، تح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط5، 2004.
- ديوان عنتر بن شداد ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1992.
- البشبيهي المستطرف في كل من مستطرف ، ، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- Cheikh si hamza boubakeur ; trois poètes algériens de longue paris 1990 tome 2
- ديوان طرفة بن العبد، دار صادر، بيروت. لبنان.
- ألف ليلة وليلة، المكتبة الثقافية، لبنان، ط2، 1981، ج1.
- ابن هشام، السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج4.
- منير سلطان، الصورة الفنية في شعر المتنبي (التشبيه)، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- محمد زغلول صلاح، الأدب في عصر العباسيين، منشأة المعارف الاسكندرية.
- نزار قباني: المرأة في شعري وفي حياتي ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1981
- الهوامش:

¹ - عبد الامير مهدي حبيب الطائي أشواق العشاق في الادب العربي ، ط1 ، 1985 ، ص: 07.

- ² نص مخطوط، الشعر الشعبي منطقة شمال الصحراء، ص 113.
- ³³ - علي البطل، الصورة في الشعر العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص: 69.
- ⁴ نص مخطوط، ص 66.
- ⁵ نص مخطوط، ص 47.
- ⁶ نص مخطوط، ص 50.
- ⁷ نص مخطوط، ص 33.
- ⁸ - ديوان أمري القيس، تح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004، ص : 115 .
- ⁹ - ديوان عنتر بن شداد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص : 215
- ¹⁰ - نفس الديوان، ص : 247
- ¹¹ - البشيري المستطرف في كل من مستطرف، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 26
- ¹² نص مخطوط، ص 18.
- ¹³ نص مخطوط، ص 38.
- ¹⁴ - الديوان : ص 70.
- ¹⁵ نص مخطوط، ص 63.
- ¹⁶ Cheikh si hamza boubakeur ; trois poètes algériens de longue paris 1990 tome 2 p : 90-82
- ¹⁷ نص مخطوط، ص 70.
- ¹⁸ - ديوانه، ص: 116.
- ¹⁹ - ديوانه، ص 251.
- ²⁰ - ديوان طرفة بن العبد، دار صادر، بيروت، ص 21.
- ²¹ - المستطرف في كل فن مستظرف، ج2، ص: 31.
- ²² - ألف ليلة وليلة، المكتبة الثقافية، لبنان، ط2، 1981، ج1، ص 08.
- ²³ نص مخطوط، ص 66.
- ²⁴ نص مخطوط، ص 22.
- ²⁵ نص مخطوط، ص 65.
- ²⁶ نص مخطوط، ص 46.
- ²⁷ نص مخطوط، ص 9.
- ²⁸ نص مخطوط، ص 25.
- ²⁹ نص مخطوط، ص 33.
- ³⁰ Trois poètes, P : 82-90
- ³¹ المستظرف في كل فن مستظرف، ج2، ص 31.
- ³² المستظرف في كل فن مستظرف، ج2، ص 31.
- ³³ فواز الشعراء، الشعراء العرب، دار الجيل، بيروت، ص 76.
- ³⁴ ديوان عمر بن أبي ربيعة، ط1، 1992، ص: 10.
- ³⁵ نص مخطوط، ص 47.
- ³⁶ نص مخطوط، ص 98.

- ³⁷ نص مخطوط، ص 25.
- ³⁸ نص مخطوط، ص 16.
- ³⁹ نص مخطوط، ص 99.
- ⁴⁰ نص مخطوط، ص 98.
- ⁴¹ نص مخطوط، ص 54.
- ⁴² نص مخطوط، ص 68.
- ⁴³ نص مخطوط، ص 34.
- ⁴⁴ نص مخطوط، ص 61.36.
- ⁴⁵ ديوانه، ص: 115.
- ⁴⁶ ديوانه، ص: 115.
- ⁴⁷ ابن هشام، السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 4، ص 147.
- ⁴⁸ أحمد زغلول سلام، الأدب في عصر العباسيين، ص 571.
- ⁴⁹ فواز الشعار، الشعراء العرب، ص: 159.
- ⁵⁰ د/ منير سلطان، الصورة الفنية في شعر المتنبي (التشبيه)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص 153.
- ⁵¹ نص مخطوط، ص 36.
- ⁵² نص مخطوط، ص 96.
- ⁵³ نص مخطوط، ص 36.
- ⁵⁴ نص مخطوط، ص 48.
- ⁵⁵ نص مخطوط، ص 96.
- ⁵⁶ نص مخطوط، ص 78.
- ⁵⁷ نص مخطوط، ص 15.
- ⁵⁸ المستطرف في ظل فن مستظرف، ج 2، ص: 35.
- ⁵⁹ نص مخطوط، ص 69.
- ⁶⁰ تاريخ الأدب العربي، ج 04، ص: 153.
- ⁶¹ د. محمد زغلول صلاح، الأدب في عصر العباسيين، منشأة المعارف الاسكندرية، ص: 569.
- ⁶² نص مخطوط، ص 14.
- ⁶³ نص مخطوط، ص 69.
- ⁶⁴ نص مخطوط، ص 47.
- ⁶⁵ نص مخطوط، ص 45.
- ⁶⁶ نص مخطوط، ص 33.
- ⁶⁷ نص مخطوط، ص 25.
- ⁶⁸ المستظرف، ج: 02، ص: 37.
- ⁶⁹ ديوانه، ص: 165.
- ⁷⁰ الصورة الفنية في شعر المتنبي (التشبيه)، ص: 160.
- ⁷¹ ديوانه، ص: 99.

نزار قباني: المرأة في شعري وفي حياتي ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1981 ، ص77.